(SUJHUS) مجلة جامعة سومر للعلوم الانسانية (ISSN: 2959-5436)
عدد خاص بوقائع المؤتمر العلمي الدولي الثالث للعلوم الانسانية والتربوية والنفسية الذي اقامته جامعة سومر للفترة من 24-25 نيسان 2024 /القسم الثاني/ محور علوم القرآن ومحور اللغة العربية ومحوراللغة الفارسية,
الصفحات 282–306

الاتجاه العبادي بين الصابئة والاسلام -دراسة في ضوء النص القرآني-

أ.د. زين العابدين عبد علي[1]*

أ. د. كريم مجيد ياسين[2]

[1] كلية التربية الأساسية, جامعة ميسان, ميسان, العراق

[2]كلية التربية الأساسية، جامعة سومر، ذي قار، العراق

الملخص

إنّ تحصين فكرة ما من النّقد قد يقضي تنزيهها أو تقديسها، وهو مسلك لا يقتصر على الشأن الديني كما يُظَنّ. فللأمم والمجتمعات كافّة سرديّاتٌ مُحاطة بأسلاك شائكة تتّقي بها محاولات الشكّ أو مساعي النقض، وإن زعمت الأمم والمجتمعات ذاتها الانفتاح والاستنارة ونبذ "التابوات" جميعاً؛ وقد يدفع الوعي الجمعي، المشفوع أحياناً بالترهيب من النقد؛ إلى تقديسٍ جديد لمفهوم أو تنزيه فائق لفكرة، بما يقضي برَمْي من يُتصوّر خروجهم عن ذلك بضَربٍ من التكفير استناداً إلى المفهوم المعنيّ أو الفكرة المخصوصة. وما بين أيدينا من دراسة حول الديانة الصابئية وما تحمل من مطبات نحاول الوقوف عندها مستنيرين بالنصوص الواردة في الكتب السماوية عنها ؛ إذ تعد الديانة الصابئية المندائية من أقدم الديانات السماوية التي ظهرت في العراق وغيره من البلدان الأخرى؛ ولذا فإن دراسة تأريخ الصابئة يُعدُّ جزءً من تاريخ العراق القديم ، وقد تعددت الآراء حول تاريخهم ؛ لأنه كان حافلاً بكثرة التنقلات والهجرات. إذ تناولها الباحثون بين الآخذ والرد، فمن ناقد لأصل الديانة مغيب لها، ومن مثبت لتاريخها واصالتها وقدمها وتجذرها بين الديانات السماوية الأخرى، ولذلك يُعد البحث ذا صلة عميقة بالديانات السماوية كاليهودية والمسيحية ، التي ذكرت في النصوص القرآنية الى جانب الديانة الصابئية إذ ذكرت في عدة آيات قرآنية مباركة.

الكلمات المفتاحية: الاتجاه العبادي ـ الاسلام ـ الصابئة

Al-Abadi’s approach between the Sabians and Islam - a study in light of the Qur’anic text –

Professor Dr. Zain Al-Abidin Abd Ali[1*]

Professor Dr. Karim Majeed Yassin[2*]

*1*College of Basic Education, University Maysan, Maysan, Iraq

[2]College of Basic Education, Sumer University, Dhi Qar, Iraq

Abstract:

Protecting an idea from criticism may require it to be glorified or sanctified, and this is an approach that is not limited to religious matters, as is thought. All nations and societies have narratives surrounded by barbed wire that protect them from attempts at doubt or efforts to veto, even if the nations and societies themselves claim openness, enlightenment, and reject all “coffins.” Collective awareness, sometimes accompanied by intimidation, may prevent criticism. To a new sanctification of a concept or a transcendent exaltation of an idea, which requires that those who are perceived to have departed from that be considered a kind of apostasy based on the concept in question or the specific idea. The study we have on the Sabian religion and the pitfalls it carries, we try to stand up to, enlightened by the texts contained in the heavenly books about it؛The Mandaean Sabian religion is

* **Email address: zain6363@gmail.com**

one of the oldest monotheistic religions that appeared in Iraq and other countries. Therefore, studying the history of the Sabians is considered part of the history of ancient Iraq, and there are many opinions about their history. Because it was full of many movements and migrations. As researchers have dealt with it between taking and rejecting it, whoever criticizes the origin of the religion has overlooked it, and whoever affirms its history, originality, antiquity, and rootedness among other heavenly religions, and therefore the research is considered to be deeply related to heavenly religions such as Judaism and Christianity,

Keywords: The devotional trend, Islam, Sabians.

المبحث الاول

أولاً: أصل الصابئة:

تعد الديانة الصابئية المندائية من أقدم الديانات السماوية التي ظهرت في العراق وغيره من البلدان الأخرى؛ ولذا فإن دراسة تأريخ الصابئة يعتبر جزءً من تاريخ العراق، وقد تعددت الآراء حول تاريخهم لأنه كان حافلاً بكثرة التنقلات والهجرات.

اختلف الباحثون في بيان أصل ديانة الصابئة إلى اقوال ومشارب عدة:

ما يذكره الطبري(ت310هـ) في تاريخه فيما يرويه هشام بن محمد الكلبي عن أهل العلم: أن أول ملوك بابل طهمورت قال وبلغنا والله اعلم : إن الله أعطاه من القوة ما خضع له إبليس وشياطينه وغنه كان مطيعاً لله وكان ملكه أربعين سنة ,واما الفرس فإنها تزعم أن طهمرت ملك الأقاليم كلها وعقد على رأسه عاجاً وقال: يوم ملك نحن دافعون بعون الله عن خليقته المردة الفسدة وكان محموداً في ملكه حدباً على رعيته وأنه ابتنى سابور من فارس ونزلها وتنقل في البلدان وانه وثب بإبليس حتى ركبه فطاف عليه في إداني ألأرض وأقاصيها وأفزعه ومردة أصحابه حتى تطايروا وتفرقوا وأنه أول من أتخذ الصوف والشعر لحفظ المواشي وحراستها في السباع والجوارح للصيد وكتب بالفارسية وأن بوداسب ظهر من أول سنة من ملكه ودعا إلى ملة الصابئين(1).

قال المسعودي(ت346هـ): إن أصل الصابئة ظهر في زمن الملك (طموث) وهو أحد ملوك دولة الفرس الأولى، بان رجلاً وفد من الهند يقال له (بوداسف) وأحدث مذاهب الصابئة من الحرانيين والكيماريين، وهذا النوع من الصابئة مباين للحرانيين في لغتهم (2).

ويرى عزيز سباهي: أن الصابئة المندائية برزت في بابل أولاً، وقد تمثل في نشأتهم في نظريتين:

الأولى: أنهم من سكان ما بين النهرين القدماء وأنهم ورثوا الكثير من الميثولوجيا البابلية ولكنهم تأثروا باليهودية بحكم تجاورهم مع اليهود الذين كانوا ما بين النهرين، وقد تأثروا بالمسيحية من خلال الاحتكاك بالسناطرة المسيحيين.

الثانية: يرى البعض أن منشأهم كان بالقرب من منطقة البحر الميت (فلسطين) أو شرق الأردن حيث كانوا يمارسون التعميد هناك (3).

وأما عليان: فيرى اختلاف أهل الملل والنحل في اصلهم ونشاتهم ومواقع اعتقادهم، فيقول: منهم من قال : إن اصلهم يرجع إلى الديانات البابلية والآشورية والوثنية القديمة مستندين على تعظيم الكواكب والنجوم وممارستهم التنجيم, ومنهم من

قال: إنهم فرقة من المجوس، مستشهدين بصحة قولهم باعتقاد الصابئة بالوثنية، وإيمانهم بمبدأين متضادين متلازمين، كالنور والظلام، والخير والشر وآخرون ادعوا أنهم إحدى الفرق التي انشقت عن اليهودية مؤيدين دعواهم بالتشابه بينهما في شعائر الذبح وعيد رأس السنة الذي يكرصون فيه ،ويحرمون العمل خلاله ،وفريق نسبهم إلى المسيحية ،وقال : إنهم إحدى فرقها وبرهنوا على ذلك باشتراكهم في العماد -أي التعميد: وهو الغطس بالماء- والصوم وتقديس يوم الأحد ،ولبس الزنار، واحترام يوحنا المعمدان ،وفريق ذهب إلى أن الديانة الصابئية مؤلفة من أكثر من ديانة ، فبعض من هؤلاء ذهبوا إلى أنها مؤلفة من اليهودية والمجوسية ،وبعض آخر قالوا : إنها مؤلفة من المجوسية والمسيحية ،وبعض ثالث زعموا أنها مؤلفة من اليهودية والمسيحية (4).

لكن بعض الباحثين يذكرون أن حقيقة الديانة الصابئية تمتد إلى العهد السومري، ولدعم هذه النظرية قام أحدهم بإجراء مقارنة بين الديانة الصابئية والديانة السومرية فذكر أن كلا الديانتين تعظمان الماء وتضعانه في منزلة عظيمة قد كان في الزمن السومري إلاه اسمه(أيا) إلاه المياه هو يجلس في مقصورة من الماء الجاري وأن البركة الطقسية ذات العلاقة ب(أيا) إلاه المياه كانت تشكل جزءاً من العقائد السومرية في (أريدو) المدينة.

أما بالنسبة للصابئة فالماء هو مصدر الحياة ذاتها، في الوضوء ويسمى (الرشامة) والتي تجري عند النهر الجاري يقولون: تبارك الماء العظيم ماء الحياة سبحان الاهي احفظ عهدنا، كما وتأتي جذور الصلة بين الديانتين الصابئية والمندائية والبابلية والسومرية من حيث كل منهما تقدسان الشمس باعتبارها قوة للخير، وكذلك يلتقي الصابئة المندائيون بالبابليين بلباس التعميد الأبيض (الرشة) لدى المندائيين باللباس الأبيض الذي يرتدونه الكهنة في بابل5.

ثانياَ: تسمية الصابئة

اختلفت الآراء ووجهات النظر حول تسمية الصابئة في اللغة إلى مشارب عدة الصابئة أو الصابئيون جمع، مفردها صابئ، وأصلها صبأ يصبأ أو صبوأ، قال إبن منظور: الصابئون: قوم يزعمون أنهم على دين نوح، عليه السلام، بكذبهم6.

قال في تهذيب اللغة: وقال أبو زيد: صبأ الرجل في دينه يصبأ صبؤا: إذا كان صابئاً. وقال أبو إسحاق في قوله: والصابئون معناه الخارجون من دين إلى دين، يقال : صبأ فلان يصبأ إذا خرج من دينه. قال: وصبأت النجوم: أذا ظهرت وصبأ نابه: إذا خرج يصبأ صبوءاً. قال الليث: الصابئون: قوم يشبه دينهم دين النصارى، إلا أن قبلتهم نحو مهب الجنوب، يزعمون أنهم على دين نوح، وهم كاذبون. وكان يقال للرجل اذا اسلم في زمن النبي محمد(ص): قد صبأ، عنوا أنه خرج من دين إلى دين 7.

وذهبت المستشرقة الإنكليزية الليدي ادراوور :(إن تسمية "صبة" (مفردها صبي) تعبير عامي يرتضيه الصابئون دلالياً على طقسهم الرئيس، الإغتسال، إلا أن التسمية الأكثر رسمية لجنسهم ودينهم والتي يستعملونها فيما بينهم هي" مندائي" أو المندائيون).8

وقال المستشرق نولكه: وقد أشار بعض من المؤرخين أن الصابئة يرفضون إضافة تسميتهم بكثرة انتقالهم من دين إلى آخر ويعرفون أنفسهم باسم "مندائي" فلا بد أن تكون تسميتهم باسم المندائيين قد جاءت من مجاورتهم للأقوام الأخرى وحاول لبعض تحليل ذلك منهم المستشرق نولدكه فقال: (إن كلمة صابئة مشتقة من صب الماء إشارة إلى اعتمادهم على الماء) وتزيد الليدي ادراوور قاصدة المعنى السابق نفسه فتقول : (أنها مأخوذة من كلمة(صبا) المندائية ومعناها الارتماس

والإغتسال بالماء الجاري ،لكن الإمام علي (ع) ويرد معنى آخر لتسمية الصابئة لاشتقاقها من الصب، فيقول واصفاً أبا بكرحين مات (وكنت على الكافرين عذاباً صباً).9

ثالثاً: هجرة الصابئة:

ذهب المهتمون بالديانة الصابئية المندائية الى أن موطنهم الأصلي كان في فلسطين وحوض نهر الأردن ضمن طوائف البحر الميت مرتكزين في ذلك الى بروز شخصية لها الثقل الأكبر في هذه الديانة وهو >يوحنا المعمدان< الذي يكون هو النبي>يحيى بن زكريا<، (عليه السلام)، نبيهم الذي يؤمنون به ويتبعون شرعه وتعاليمه، وسمي بالمعمدان لأنه كان يعمد أتباعه وابناء جلدته ومريديه في حوض نهر الأردن.

وبعد أن قوي عماد عقيدة النبي يحيى (عليه السلام) في فلسطين والتي استقطبت جمهوراً كبيراً أخاف اليهود وباقي الأعداء، وصاروا يأخذون حذرهم، لذلك بدأوا في تحركهم التعسفي الذي تزامن مع اضطهاد المسيحيين والمسلمين أيضاً لهم، لذلك يعد الصابئة قوماً اعتادوا العيش تحت الاضطهاد من قبل الأديان الثلاثة، فكثرة النصوص المندائية ضد اليهود تشير إلى عذابهم من قبل أهل هذا الدين المجاور لهم في بابل، فاعتبرهم المسيحيون نصارى منحرفين ولا بد من ارجاعهم إلى الجادة الصحيحة 10.

والذي ساعد على الهجرة للصابئة هو ثقل الفتاوى التي أصدرها علماء المسلمين بالقتل الجماعي بحقهم، ومن أبرزها فتوى محتسب ببغداد والقاضي والفقيه أبي سعيد الحسن بن يزيد الأصطخري (ت 328هـ) أيام القاهر العباسي11.

ولذا بدأت هجرة الصابئة على مرحلتين كما يذهب اليه المؤرخون.

بدأت المرحلة الأولى: بعد رحيل الملك >الناصوراني< من مدينة القدس>أورشليم< بعد اضطهاد اليهود لهم وبحثوا عن مأوى في جبال ميديا >طور ادمداي< ومدينة حران في تلك الجبال، وبعد هجرتهم إلى حران وجدوا أخوة لهم في الدين، ومن هناك بدأت المرحلة الثانية: لهجرتهم تحت رعاية الملك البارثي الصديق>أرطيانوس< ويسمونه>أرادون المملكة< إلى القسم الأدنى من بلاد النهرين حيث أقاموا لهم مراكز في مكان يدعى>طيب ماثة< بين واسط وخوزستان 12.

واستقرت هجرتهم أخيراً في مراكز تواجدهم اليوم في جنوب العراق من منطقة الأهوار على شواطئ دجلة والفرات كمدن، العمارة وقلعة صالح والناصرية وسوق الشيوخ 13 .

المبحث الثاني

أولاً: الصابئة في القرآن:

ورد ذكر الصابئة في القرآن الكريم في ثلاث سور هي:

قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} البقرة آية: 62.

قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} المائدة آية: 69.

قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ} الحج آية: 17.

القرآن الكريم دستور الأمة الإسلامية الذي نزل على صدر خاتم الأنبياء والمرسلين محمد بن عبد الله (ﷺ) وهو معجزته الخالدة الذي يعصم من تمسك به من الضلال، إذ أوصى النبي الأمة الإسلامية بالتمسك بحبله والعمل به وعدم مخالفته والسير على منهجه، والإيمان بكله دون تجزءته، وعلى هذا لم تكن شاردة ولا واردة ولا صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، وأكد ضمنها على التمسك بجميع الأنبياء والرسل المبعوثين بأمره تعالى.

ولذا نلحظ أن القرآن الكريم أشار الى أهمية الكتب السماوية السابقة على الإسلام واقرار ما مضى على العمل بها لمعتنقيها، لأن الأساس في ذلك كله هو الإيمان بالله تعالى، ومنها الديانة الصابئة الوارد ذكرها في القرآن الكريم.

وبغض النظر عن الموقف الشرعي في التعامل مع أصحاب الديانة الصابئية إلا أن الواقع القرآني يفرض هذه الحقيقة بوجود الديانة الصابئية حيث ذكرت جنباً الى جنب مقترنة بالديانات السماوية الأخرى، كالديانة الإسلامية والنصرانية، واليهودية، وبالتأمل بالنصوص القرآنية المباركة يلاحظ الباحث ان الإيمان بالله تعالى واليوم الآخر كان هو السمة البارزة التي ارتكزت عليها هذه الديانات.

وقد يفهم من مصطلح الديانات السماوية أن المعني بها الديانات المختصة بالمسلمين والمسيحيين واليهود، وهذا العالق في أذهان العامة من الناس، لكن الواقع يشهد خلاف ذلك فكل الأديان ترى أنها سماوية ولها ارتباط بعالم الغيب والشهادة فهي لم تأت من فراغ، بل قد تجد أن بينهما مشتركات تنم عن نبع واحد استقت منه كل ديانة مضامين افكارها ومعتقداتها.

ثم إن الملاحظ على كل ديانة ترى أنها الأقرب للحقيقة ولواقع الدين من غيرها وقد ترى مثيلاتها ديانات وضعية لا ترقى الى مستوى طموحها، فنجد مثلاً أن الديانة اليهودية لا تعترف بدين آخر سواها، وخير شاهد على هذا ما ذكره القرآن من نفي الديانة اليهودية للنصرانية والعكس كذلك، قال تعالى: {وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ} البقرة: 113. بينما نجد الدين الإسلامي هو الأكثر انفتاحاً على الآخر فعندما يمر القرآن الكريم بالديانات الأخرى يرى أن التقوى والإيمان بالله تعالى والعمل الصالح هما من يقودان المؤمن الى بر الأمان فلا حزن ولا خوف، بل الله يقابل كل نفسه بما كسبت يوم القيامة، فلا اقصاء ولا تهميش ولا استهانة كما تفعله الديانة اليهودية أو النصرانية مع الآخر.

ثم إن الإسلام اعترف بكل الأنبياء (عليهم السلام) فلم يفرق بين أحد منهم فهم سواسية كأسنان المشط من جهة الاحترام والتقدير والطهارة والتقديس، قال تعالى: {آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ} البقرة: 285.

وعلى هذا النهج سار الصابئة المندائيون على الاعتراف بنبوة النبي يحيى بن زكريا، فكان هو نبيهم المكرم كما ورد في الأثر وسموه ب (يحيى المعمدان) وكان هذا قبل ظهور الديانة الإسلامية في الجزيرة العربية.

قال النبي الأكرم محمد بن عبد الله (ﷺ) في حق النبي يحيى بن زكريا (عليهما السلام): (كل ابن آدم يلقى الله بذنب قد أذنبه يعذبه عليه إن شاء أو يرحمه إلا يحيى ابن زكريا فإنه كان سيداً وحصوراً ونبياً من الصالحين) -ثم أهوى النبي ﷺ بيده إلى

قذاة من الأرض فأخذها وقال: (كان ذكره [هكذا] مثل هذه القذاة). وقيل: معناه الحابس نفسه عن معاصي الله عز وجل. "ونبياً من الصالحين" قال الزجاج: الصالح الذي يؤدي لله ما افترض عليه، وإلى الناس حقوقهم14.

بيان دلالات الآيات القرآنية التي ورد فيها ذكر الصابئة:

أولاً: قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} البقرة آية: 62.

بيان المعنى:

عند بيان المراد من هوية الصابئين وديانتهم قال سليمان بن مقاتل(ت150هـ) :(قوم يعبدون الملائكة ويصلون للقبلة ويقرؤون الزبور) 15وفي بيان مدى ارتباطهم بالله تعالى وتميزهم عن غيرهم من الصابئة الذين يؤمنون بالله تعالى، يقول سليمان في موضع آخر: يَقُولُ من صدق منهم بِاللَّه-عَزَّ وَجَلّ-بأنه واحد لا شريك لَهُ وصدق بالبعث الَّذِي فِيهِ جزاء الأعمال بأنه كائن فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ من نزول العذاب وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ، عِنْد الموت. يَقُولُ : إن الَّذِين آمنوا يعني صدقوا بتوحيد اللَّه-تَعَالَى-ومن آمن من الَّذِين هادوا ومن النَّصارى ومن الصابئين من آمن منهم بِاللَّه واليوم الآخر16. فخرج الذين آمنوا بالله واليوم الآخر ولا يكون ذلك إلا باتباع النبي الذي يؤمنون برسالته.

وأما الطبري(ت310هـ) فيروى عنهم: حدثني يونس بن عبد الأعلى قال، أخبرنا ابن وهب قال: قال ابن زيد في قوله: "والصابئين" قال: الصابئون، [أهل] دين من الأديان كانوا بجزيرة الموصل، يقولون: لا إله إلا الله، وليس لهم عمل ولا كتاب ولا نبي، إلا قول لا إله إلا الله. قال: ولم يؤمنوا برسول الله، فمن أجل ذلك كان المشركون يقولون للنبي ﷺ وأصحابه: "هؤلاء الصابئون"، يشبهونهم بهم17.

وممن يرى أنهم يعاملون معاملة أهل الكتاب ما ذكره أبو إسحاق الزجاج(ت311هـ) بقوله: وَسَنَ رسول اللَّه -ﷺ -في المجوس والصابئين أن يجروا مجرى أهل الكتاب في قبول الجزية18.

ويذهب الماتريدي(ت333هـ): في بيان حقيقة المعنى المراد من الصابئة بطرح آراء عدة منشأها الاختلاف الواقع فيهم فقال: واختلف في الصابئين: قيل: الصابئون: قوم يعبدون الملائكة، ويقرؤون الزبور. وقيل: إنهم قوم يعبدون الكواكب، وقيل: هم قوم بين المجوس والنصارى. وقيل: هم قوم بين اليهود والمجوس. وقيل: هم قوم يذهبون مذهب الزنادقة؛ يقولون باثنين لا كتاب لهم، ولا علم لنا بهم19.

ويرى الطوسي(ت460هـ) أن المعنى المراد من بيان ذلك قوله: والمراد بها: إن الذين آمنوا بأفواههم، ولم تؤمن قلوبهم من المنافقين هم واليهود، والنصارى، والصابئين إذا آمنوا بعد النفاق، واسلموا عند العناد، كان لهم أجرهم عند ربهم: كمن آمن في أول الاسلام من غير نفاق، ولا عناد، لأن قوماً من المسلمين قالوا: إن من أسلم بعد نفاقه، وعناده كان أجره أقل وثوابه أنقص. وأخبر الله بهذه الآية أنهم سواء في الأجر والثواب.

وأولى الأقاويل ما قدمنا ذكره. وهو المحكي عن مجاهد والسدي: إن الذين آمنوا من هذه الأمة، والذين هادوا، والنصارى، والصابئين من آمن من اليهود، والنصارى، والصابئين بالله واليوم الآخر، فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون، لأن هذا أشبه بعموم اللفظ. والتخصيص ليس عليه دليل20.

وفي بيان المعنى المراد من النص قال الطبرسي(ت485هـ): الذين هادوا، والنصارى، والصابئين، بمعنى استئناف الإيمان بالنبي ﷺ، وما جاء به. وقال بعضهم أراد من آمن بمحمد ﷺ بعد الايمان بالله، وبالكتب المتقدمة، لأنه لا يتم أحدهما إلا بالآخر، ونظيره قوله: (والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نزل على محمد) وروي عن ابن عباس أنه قال : إنها منسوخة بقوله : (ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه). وهذا بعيد؛ لأن النسخ لا يجوز أن يدخل الخبر الذي هو متضمن للوعد، وإنما يجوز دخوله في الأحكام الشرعية التي يجوز تغيرها وتبدلها بتغير المصلحة. فالأولى أن يحمل على أنه لم يصح، هذا القول عن ابن عباس. وقال قوم: إن حكمها ثابت والمراد بها: إن الذين آمنوا بأفواههم، ولم تؤمن قلوبهم، من المنافقين واليهود والنصارى والصابئين، إذا آمنوا بعد النفاق، وأسلموا بعد العناد، كان لهم أجرهم عند ربهم21.

ويرى ابن الجوزي(ت597هـ) أن ذكر الصابئين في الآية مورد الذكر جاء على سبعة أقوال: فأما "الصابئون" فقرأ الجمهور بالهمز في جميع القرآن. وكان نافع لا يهمز كل المواضع. قال الزجاج: معنى الصابئين: الخارجون من دين إلى دين، يقال: صبأ فلان، إذا خرج من دينه. وصبأت النجوم: إذا طلعت [وصبأ نابه: إذا خرج].

وفي الصابئين سبعة أقوال:

أحدها: أنه صنف من النصارى ألين قولا منهم، وهم السائحون المحلقة أوساط رؤوسهم، روي عن ابن عباس.

والثاني: أنهم قوم بين النصارى والمجوس، ليس لهم دين، قاله مجاهد.

والثالث: أنهم قوم بين اليهود والنصارى، قاله سعيد بن جبير.

والرابع: قوم كالمجوس، قاله الحسن والحكم.

والخامس: فرقة من أهل الكتاب يقرؤون الزبور، قاله أبو العالية.

والسادس: قوم يصلون القبلة، ويعبدون الملائكة، ويقرأون الزبور، قاله قتادة.

والسابع: قوم يقولون: لا إله إلا الله، فقط، وليس لهم عمل ولا كتاب ولا نبي، قاله ابن زيد22.

ثانياً: قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} المائدة آية: 69.

بيان المعنى:

ما نقله الماتريدي(ت333هـ) عن ابن عباس قوله: قال ابن عَبَّاسٍ: هم الذين آمنوا بألسنتهم، ولم تؤمن قلوبهم. وقَالَ بَعْضُهُمْ: هم الذين آمنوا ببعض الرسل لم يتسموا باليهودية ولا بالنصرانية23.

ويبين الطوسي(ت460هـ) المراد من الصابئة ونوعية الدين الذي هم عليه يصرح بقوله: والصابئون: جمع صابئ، وهو من انتقل إلى دين آخر، وكل خارج من دين كان عليه إلى آخر غيره، سمي في اللغة صابئاً، قال أبو علي: قال أبو زيد صبا الرجل في دينه يصبا صبؤا: إذا كان صابئاً، وصبأ ناب الصبي يصبأ صبأً: إذا طلع. وصبأت عليهم، تصبأ صبأً وصبوا: إذا طلعت عليهم، وطرأت مثله. فكأنه معنى الصابئ: التارك دينه الذي شرع له إلى دين غيره، كما أن الصابئ على القوم: تارك لأرضه، ومنتقل إلى سواها.

والدين الذي فارقوه: هو تركهم التوحيد إلى عبادة النجوم أو تعظيمها. قال قتادة: وهم قوم معروفون، ولهم مذهب يتفردون به، ومن دينهم عبادة النجوم، وهم يقرون بالصانع وبالمعاد وببعض الأنبياء. وقال مجاهد، والحسن: الصابئون بين اليهود والمجوس، لا دين لهم. وقال السدي: هم طائفة من أهل الكتاب، يقرأون الزبور. وقال الخليل: هم قوم دينهم شبيه بدين النصارى، إلا أن قبلتهم نحو مهب الجنوب، حيال منتصف النهار، يزعمون أنهم على دين نوح. وقال ابن زيد: هم أهل دين من الأديان، كانوا بالجزيرة، جزيرة الموصل، يقولون: لا إله إلا الله، ولم يؤمنوا برسول الله، فمن أجل ذلك كان المشركون يقولون للنبي ﷺ ولأصحابه: هؤلاء الصابئون، يشبهونهم بهم. وقال آخرون: هم طائفة من أهل الكتاب. والفقهاء بأجمعهم يجيزون أخذ الجزية منهم، وعندنا لا يجوز ذلك، لأنهم ليسوا بأهل كتاب24.

والذي يبدو أن بعض المفسرين خلط بين طوائف الصابئة من حيث الاعتقاد بالله تعالى، وبالأنبياء (عليهم السلام)، فما عليه الصابئة المندائيون أو كما يسمون عند البعض–أصحاب الروحانيات-وهم أتباع النبي يحيى (عليه السلام) الذين آمنوا به وبالكتاب الذي معه، وغيرهم قد شذ عن الصابئة وأخذ بعبادة الهياكل والنجوم، كالحرانيين وأصحاب الأشخاص، وهذه فرق شذت ثم بادت وانقرضت، فلم يبقى من الصابئة إلا المندائيون اتباع النبي يحيى (عليه السلام).

وعند بيان معنى الآية المباركة يقول الطوسي(ت460هـ): من معنى ذلك: أخبر الله تعالى أن الذين صدقوا الله وأقروا بنبوة نبيه صلى الله عليه وآله " والذين هادوا " يعني الذين اعتقدوا اليهودية ونبوة موسى، وتأييد شرعه " والصابئون " وهو جمع صابئ، وهو الخارج عن دين عليه أمة عظيمة من الناس إلى ما عليه فرقة قليلة، وهم عباد الكواكب. وعندنا لا يؤخذ منهم الجزية.

وعند المخالفين يجرون مجرى أهل الكتاب وصبأ ناب البعير وسن الصبي إذا خرج. وضبأ-بالضاد المعجمة -معناه اختبأ في الأرض25.

وعند يمر بتفسير الإيمان الوارد في الآية المباركة يرى في قوله تعالى: > مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا < وقوله: " من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم اجرهم عند ربهم ".

المعنى:

تقول: من صدق بالله وأقر بالبعث بعد الممات يوم القيامة وعمل صالحا وأطاع الله فلهم أجرهم عند ربهم: يعني ثواب عملهم الصالح فان قيل: فأين تمام قوله: إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين -قيل تمامه جملة قوله تعالى: من آمن بالله واليوم الآخر: لان معناه: من آمن منهم بالله واليوم الآخر، وترك ذكر منهم لدلالة الكلام عليه.

ومعنى الكلام: إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من يؤمن منهم بالله واليوم الآخر فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم 26

ويرى القشيري(ت465هـ) أنه تعالى: بيّن أنهم-وإن نجنّست أحوالهم-فبعدما تجمعهم أصول التوحيد فلهم الأمان من الوعيد، والفوز بالمزيد27.

وبعد أن يبين الزمخشري(538هـ) المعنى النحوي للآية المباركة يعرج على المعنى فيقول: وَالصَّابِئُونَ رفع على الابتداء وخبره محذوف، والنية به التأخير عما في حيز إن من اسمها وخبرها، كأنه قيل: إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى حكمهم كذا، والصابئون كذلك، وأنشد سيبويه شاهداً له: وَإِلّا فَاعْلَمُوا أنَّا وأنْتُمْ ... بُغَاةٌ مَا بَقِينَا في شِقَاق.

أي فاعلموا أنا بغاة وأنتم كذلك، فإن قلت: هلا زعمت أن ارتفاعه للعطف على محل إن واسمها؟ قلت: لا يصح ذلك قبل الفراغ من الخبر، لا تقول: إن زيدا وعمرو منطلقان. فان قلت لم لا يصح والنية به التأخير، فكأنك قلت: إنّ زيدا منطلق وعمرو؟ قلت: لأني إذا رفعته رفعته عطفاً على محل إن واسمها، والعامل في محلهما هو الابتداء، فيجب أن يكون هو العامل في الخبر لأن الابتداء ينتظم الجزأين في عمله كما تنتظمها «إن» في عملها، فلو رفعت الصابئون المنوي به التأخير بالابتداء وقد رفعت الخبر بأنّ، لأعملت فيهما رافعين مختلفين. فان قلت: فقوله والصابئون معطوف لا بد له من معطوف عليه فما هو؟ قلت: هو مع خبره المحذوف جملة معطوفة على جملة قوله: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا) الخ ... ولا محل لها، كما لا محل للتي عطفت عليها، فان قلت: ما التقديم والتأخير إلا لفائدة، فما فائدة هذا التقديم؟ قلت: فائدته التنبيه على أن الصابئين يتاب عليهم إن صح منهم الإيمان والعمل الصالح، فما الظن بغيرهم. وذلك أن الصابئين أبين هؤلاء المعدودين ضلالاً وأشدّهم غياً، وما سموا صابئين إلا لأنهم صبؤا عن الأديان كلها، أي خرجوا، كما أن الشاعر قدم قوله «وأنتم» تنبيها على أن المخاطبين أو غل في الوصف بالبغاة من قومه، حيث عاجل به قبل الخبر الذي هو «بغاة» لئلا يدخل قومه في البغي قبلهم، مع كونهم أو غل فيه منهم وأثبت قدماً فان قلت: فلو قيل : والصابئين وإياكم لكان التقديم حاصلا. قلت: لو قيل : هكذا لم يكن من التقديم في شيء، لأنه لا إزالة فيه عن موضعه، وإنما يقال مقدّم ومؤخر للمزال لا للقارّ في مكانه28.

وقال الطبرسي(ت548هـ): اختلف في وجه ارتفاع قوله (الصابئون)، فقال الكسائي: هو نسق على ما في (هادوا). قال الزجاج: وهذا خطأ من جهتين إحداهما: إن الصابي على هذا القول يشارك اليهودي في اليهودية، وليس كذلك، فإن الصابي غير اليهودي، فإن جعل (هادوا) بمعنى تابوا من قوله: (إنا هدنا إليك) لا من اليهودية، ويكون المعنى تابوا هم والصابئون. فالتفسير جاء بغير ذلك، لان معنى الذين آمنوا في هذه الآية، إنما هو الايمان بأفواههم، ثم ذكر اليهود والنصارى فقال: (من آمن منهم بالله) فله كذا، فجعلهم يهودا ونصارى، فلو كانوا مؤمنين، لم يحتج إلى أن يقال من آمن منهم فلهم أجرهم. وهذا قول الفراء، والزجاج، في الانكار عليه. والجهة الأخرى أن العطف على الضمير المرفوع من غير توكيد قبيح، وإنما يأتي في ضرورة الشعر كما قال عمر بن أبي ربيعة.

قلت إذ أقبلت وزهر تهادى ..... كنعاج الملا تعسفن رملا 29.

ثالثاً: قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ} الحج آية: 17.

بيان المعنى:

قال ابن كثير(ت774هـ): يخبر تعالى عن أهل هذه الأديان المختلفة من المؤمنين ومن سواهم من اليهود والصابئين وقد قدمنا في سورة البقرة التعريف بهم واختلاف الناس فيهم والنصارى والمجوس والذين أشركوا فعبدوا مع الله غيره فإنه تعالى " يفصل بينهم يوم القيامة " ويحكم بينهم بالعدل فيدخل من آمن به الجنة ومن كفر به النار فإنه تعالى شهيد على أفعالهم حفيظ لأقوالهم عليم بسرائرهم وما تكن ضمائرهم 30 .

قال القينوجي(1307هـ): هم قوم يعبدون النجوم؛ وقيل : هم من جنس النصارى وليس ذلك بصحيح بل هم فرقة معروفة لا ترجع إلى ملة من الملل المنتسبة إلى الأنبياء (والنصارى) هم المنتسبون إلى ملة عيسى31.

يرى القاسمي(ت1332هـ): يخبر تعالى عن أهل هذه الأديان المختلفة، أنه يقضي بينهم في الآخرة بالعدل. فيدخل من آمن منهم به وعمل صالحاً، الجنة. ومن كفر به، النار. فإنه تعالى شهيد على أفعالهم، حفيظ لأقوالهم، عليم بسرائرهم وما

تكنه ضمائرهم. وتقدم في سورة البقرة التعريف ب (الصابئين) والمراد ب (الذين) أشركوا كفار العرب خاصة؛ لأن المشركين في إطلاق التنزيل، بمثابة العلم لهم32.

وللطبطبائي (ت1402هـ) رأيه في بيان المراد من الصابئين يقول فيه: والصابئون ليس المراد بهم عبدة الكواكب من الوثنية بدليل ما في الآية من المقابلة بينهم وبين الذين أشركوا بل هم -على ما قيل -قوم متوسطون بين اليهودية والمجوسية ولهم كتاب ينسبونه إلى يحيى بن زكريا النبي ويسمى الواحد منهم اليوم عند العامة "صبي" وقد تقدم لهم ذكر في ذيل قوله: " إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين: البقرة: 3362.

وقال ابن الخطيب(ت1402هـ): {وَالصَّابِئِينَ} قوم زعموا أنهم على دين نوح عليه السلام، أو هم كل من صبأ: أي خرج من دين إلى دين آخر34.

ولأهمية الفصل بين الأديان يقول الشوكاني: ووجه تقديم الصابئين هنا أن زمنهم متقدم على زمن النصارى، وجملة (إن الله يفصل بينهم يوم القيامة) في محل رفع على أنها خبر لأن المتقدمة، ومعنى الفصل أنه سبحانه يقضى بينهم فيدخل المؤمنين منهم الجنة والكافرين منهم النار. وقيل الفصل هو أن يميز المحق من المبطل بعلامة يعرف بها كل واحد منهما 35.

وعليه تؤكد الآيات المباركات على شراكة الصابئة الوارد ذكرهم فيهما على كونهم أحد الأديان التي لها ميزتها فهي تتبع النبي يحيى(عليه السلام) وكتابه الذي يسميه الصابئة المندائيون>الكنز ربا< إذ يستقون منه تعاليمهم ويرتكزون إليه في عباداتهم، فهم كاليهود والنصارى من حيث الذكر الوارد في القرآن الكريم من جهة سعة وضيق امان بالله تعالى واليوم الآخر.

ومما يؤيد ذلك قوله تعالى: {يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا} مريم: 12. والصابئة المندائيون متمسكون بكتاب النبي يحيى الذي يقرأونه ويتداولونه بين أيديهم >الكنزا ربا< ولأهمية ما ورد من آيات مباركات في حق النبي يحيى(عليه السلام) وما حوته السنة النبوية من أحاديث بشأنه (عليه السلام) نجد أن المفسرين من تأمل في الآيات المباركات الدالة على ذلك.

قال الشيرازي: يحيى (عليه السلام) النبي المتأله الورع لقد ورد اسم " يحيى " في القرآن الكريم خمس مرات -في سور آل عمران، والأنعام، ومريم، والأنبياء -فهو واحد من أنبياء الله الكبار، ومن جملة امتيازاته ومختصاته أنه وصل إلى مقام النبوة في مرحلة الطفولة، فإن الله سبحانه قد أعطاه عقلاً وذكاء وقاداً ودراية واسعة في هذا العمر بحيث أصبح مؤهلاً لتقبل هذا المنصب.

ومن خصائص هذ النبي (عليه السلام) التي أشار إليها القرآن في الآية (39) من سورة آل عمران، وصفه بالحصور، كما قلنا في ذيل تلك الآية، فإن "الحصور" من مادة الحصر، بمعنى وقوع الشخص في المحاصرة، وهي تعني هنا -طبقا لبعض الروايات -الامتناع عن الزواج.

لقد كان هذا العمل امتيازاً بالنسبة له، من جهة أنه يبين نهاية العفة والطهارة، أو أنه كان -نتيجة ظروف الحياة الخاصة -مضطراً إلى الأسفار المتعددة من أجل نشر الدين الإلهي والدعوة إليه، واضطر كذلك إلى أن يعيش حياة العزوبة كعيسى بن مريم (عليه السلام).

وهناك تفسير قريب من الصواب أيضاً، وهو أن الحصور -في الآية المذكورة -تعني الشخص الذي ترك شهوات الدنيا وملذاتها، وهذا في الواقع مرتبة عالية من الزهد.

على كل حال، فإن المستفاد من المصادر الإسلامية والمسيحية أن يحيى كان بن خالة عيسى. فقد صرحت المصادر المسيحية بأن يحيى غسل المسيح (عليه السلام) غسل التعميد، ولذلك يسمونه (يحيى المعمد) -وغسل التعميد غسل خاص يغسل المسيحيون أولادهم به، ويعتقدون أنه يطهرهم من الذنوب-ولما أظهر المسيح نبوته آمن به يحيى.

لا شك أن يحيى لم يكن له كتاب سماوي خاص، وما نقرأه في الآيات التالية من أنه يا يحيى خذ الكتاب بقوة إشارة إلى التوراة، وهي كتاب موسى (عليه السلام).

وهناك جماعة يتبعون يحيى، وينسبون له كتاباً، وربما كان (الصابئون الموحدون) من أتباع يحيى.

لقد كان بين يحيى وعيسى جوانب مشتركة، كالزهد الخارق غير المألوف، وترك الزواج للأسباب التي ذكرت، وولادتهما التي تحمل طابع الإعجاز، وكذلك النسب القريب جداً 36.

ثانياً: ملامح تشابه بين العبادة الإسلامية والصابئة المندائية:

إن الباحث في شؤن ديانة الصابئة المندائيين يستنتج أن هناك الكثير من أوجه الشبه والمشتركات بينها وبين الدين الإسلامي في مجمل العبادات وموارد الاعتقادات مع الاختلاف في نوع الأسلوب والطريقة المستخدمة منها:

أولاً- الإيمان بالله تعالى:

يعتقد المسلمون بان الله تعالى واحد لا شريك له، ليس كمثله شيء، لم يلد ولم يولد، لا شيك له، أزلي، لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار، قال تعالى: {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ *وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ} التوحيد: 1-4، وقال تعالى {هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} الحديد: 3

وهذه الحقيقة من الاعتقاد بالله تعالى هي عينها في معتقد الصابئة المندائيين، فهم يؤمنون بأن الله تعالى فوق الكائنات والوجود، وهو حي بنفسه، ازلي أبدي لا تدركه الأبصار، ولا تناله الحواس، وأنه منزه عن كل شيء، وأنه تعالى لا أول لوجوده ولا نهاية له، وفي التأمل بكتابهم> الكنزا ربا< نجد انهم يبدؤن افتتاح آياتهم بالبسملة التي تقابل مفاتيح السور عند المسلمين فيقولون (باسم الحي العظيم) ويراد منه (باسم الله العظيم).

(هو الملك منذ الأزل، ثابت عرشه، عظيم ملكوته* لا أب له ولا ولد، ولا يشاركه ملكه أحد* مبارك هو في كل زمان، ومسبح هو في كل زمان* موجود منذ القدم، باقٍ على الأبد* قال للملائكة كوني فكانت، بقوله ملائكة النور كانت...)37.

ويؤيد العقاد هذا المعنى في إيمان الصابئة المندائيين بوحدانية الله تعالى وتنزيهه وتقديسه، من أنهم كانوا ولا يزالون ينزهون الله غاية التنزيه، ويقولون : إن الكواكب ملائكة نورانية، ولم تكن لهم هياكل ولا أصنام عند ظهور الإسلام، ولابد عندهم من مخلوق متوسط بين المادية والروحانية يهدي الناس إلى الحق لأن الروحانيات مخلوقة من كلام الله جل وعلا دعاها بأسمائها فوجدت ...38.

ثانياً- الإيمان بالأنبياء (عليهم السلام):

آمن المسلمون جميعاً بالأنبياء(عليهم السلام) وأنهم مرسلون من قبل الله تعالى إلى أقوامهم والتشريع الصادر على السنتهم، وأنهم لم يفرقوا بين احد منهم، وأنهم بعثوا من أجل هداية أممهم، وهذا المعنى ذكر بذاته في القرآن الكريم، قال تعالى: {قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ} البقرة: 136

وعند التدبر في الديانة الصابئية نلحظ هذا المعنى ظاهراً في اعتقادهم، فهم يؤمنون بوجود الأنبياء من النبي آدم (عليه السلام) فما دون، وهذا المعنى ذكر في>الكنزا ربا<في التسبيح الثاني تحت عنوان خلق آدم:

باسم الحي العظيم: *ليكن آدم ملكاً للحياة الدنيا.

سمعت الملائكة، وائتمرت، ثم اتفقت.

قالت: ليكن آدم، واحداً منا سيكون*

تعال الآن ياثباهيل، ومعاً نخلق آدم...كبيرنا سيكون...

يا آدم...لحظة تتلبسك إشعاعية الحي...قف منتصباً على قدميك.

وبعد أن تنطق بفم طاهر...يعود السر ثانية إلى موطنه.....

ونهض آدم، ركع وسجد، والحي القدير مجّد...39

وما يؤيد إيمانهم بالأنباء يحيى وزكريا (عليهم السلام) إقرارهم بأنهم مرسلون من قبل الله تعالى:

باسم الحي العظيم:

(إنه كلام مبين بوحي من رب العالمين، مواعظ يحيى بن زكريا للناصورائيين، الصادقين المؤمنين...)40.

وهذا إيمان مطلق بأن الوحي الذي أرسله رب العالمين، جاء بالمواعظ الى النبي (عليه السلام) ليبلغها للمؤمنين.

وإيمان الصابئة بالأنبياء (عليهم السلام) ذكر في المطولات من الكتب التي اهتمت بالبحث عن الديانات، وأخص منها على سبيل الاختصار ما دون في كتاب الله والأنبياء عند الصابئة، حيث افرد لكل نبياً ما ذكر من الاعتقاد والإيمان عندهم بدأً بالنبي آدم (عليه السلام) وانتهاءً بالنبي يحيى بن زكريا (عليهم السلام)41.

ثالثاً- الإيمان بالملائكة:

كما آمن المسلمون بالملائكة وأنهم عباد لله مكرمون كما ورد في الذكر الحكيم قال تعالى: {آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ} البقرة: 285

كذلك آمن الصابئة المندائيون بالملائكة وهم خلق الله المنزهون عن الكدر لاتعد فضائلهم ولا تحصى، ذكر الكنز ربا في التسبيح الثاني تحت عنوان الوصايا ما نصه:

باسم الحي العظيم:

مسبح ربي بقلبٍ نقي.

هو ملك النور السامي، هو الله منه كان الملائكة والأثريون*بضيائه ونوره يرفلون*أسنى من الشمس والقمر*منزهون عن الكدر* أجلاء حين يظهرون* سراع حين يسيرون*.....وبأمرك خلق كل شيء* ياخالق هيبل زيوا جبرائيل الرسول، ومرسله الى عالم الظلام 42.

رابعاً-عبادة الله والسجود له وحده:

ذهب المسلمون قاطبة إلى عبادة الله وحده لا شريك له والخضوع والسجود لا يكون إلا له تبارك وتعالى، قال تعالى: {وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ} فصلت: 37.

وقال تعالى: {أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَابَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ} يس: 60

ولو تأملنا في تعاليم الصابئة وعبادتهم لوجدنا ذات المعنى بعينه، ذكر في الكنزا ربا عند مخاطبة المؤمنين، قال: * لا تسجدوا للشيطان ولا تعبدوا الأصنام والأوثان* من يسجد للشيطان فمصيره النار، بئسَ المنتهى، وبئس القرار، خالداً فيها الى يوم الدين....43.

خامساً-الوضوء: (ارشاما):

الوضوء هو مقدمةٌ واجبةٌ يأتي بها المسلم للدخول إلى الصلاة لأن الصلاة عند المسلمين لا تصح الا بالطهور وهو الماء مع توفره والتيمم بالتراب بدلاً من الماء عند فقده، لأن التراب يعتبر من الطهور: قال تعالى: {وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ} الأنفال: 11.

وقال تعالى{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} المائدة: 6

هكذا الحال في الطهارة عند المسلمين، وذات المعنى نجده عند الصابئة يحث يكون الماء المصدر الساس في طهارتهم وعبادتهم.

والوضوء هو أحد أنواع الطهارة عند الصابئة المندائيين، ويقوم به الصابئي دون مساعدة الكاهن، كحال الطماشة*. وهي دائمة وتحصل عند شروق الشمس، وإذا فسد الوضوء لسبب ما، ومفسدات الوضوء عندهم: البول، والغائط، والريح، ولمس الحائض والنفساء، وجسد المرأة الأجنبية، والوضوء عند الصابئة واجب قبل كل صلاة، ولا يجوز عندهم إداء صلاتين بوضوء واحد44.

سادساً-الصلاة:

من أول فروع الدين عند المسلمين هي الصلاة، فالمسلم الذي ينكر الصلاة هو ناكر لضروري من ضروريات وأسس الدين الإسلامي؛ لأنها واجب عيني على كل مكلف ولا تسقط عنه بأي حال من الأحوال حتى مع العجز عنها ولو

يصليها إيماءً عند القدرة على الصلاة بصورة طبيعية، فلا تسقط إلا بالموت. قال تعالى: {أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا} الإسراء: 78

والصلاة عند الصابئة تقتصر على الوقوف والركوع والجلوس على الأرض، من دون سجود، وتستغرق تلاوة الأذكار فيها ساعة وربع ساعة تقريباً، وهي تؤدى ثلاث مرات في اليوم: قبل طلوع الشمس، وعند زوالها، وقبيل غروبها، أي في الصبح والظهر والعصر، وتستحب الصلاة جماعة في ايام الآحاد، وفي الأعياد أيضاً.

ومما يؤكد أن اوقات الصلاة المفروضة عليهم ثلاث مرات في اليوم ما ورد في كتابهم المقدس كنزربا: (يا أصفيائي مع انفلاق الفجر تنهضون* وإلى الصلاة تتوجهون* وثانية في الظهر تصلون*ثم صلاة الغروب* فبالصلاة تتطهر القلوب* وبها تغفر الذنوب)45.

سابعاً-الصوم:

الصوم عند المسلمين هو الكف عن المفطرات من تعمد الأكل والشرب وكل مما يدخل الجوف مما يسمى أكلاً او شرباً وكذا الجماع وغيره من الأمور التي نهى عنها الشرع الإسلامي والتي تسمى مبطلات الصوم، ولا حاجة لنا بها وإنما لمورد الشاهد، وإنه من فروع الدين التي أوجبها الله تعالى على المسلمين فهو واجب عيني على كل مكلف ليس بمريض او مسافر او معذور بعذر شرعي، فتارك الصوم يذم، وله ما له من العقاب الأخروي والخزي الدنيوي، قال تعالى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (183) أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ.....} البقرة: 183-184.

يسمى الصوم الذي يقابل الصوم عند المسلمين >زوطا< أي الصوم الصغير، وهو صوم الجسم تمييزاً له عن الصوم الكبير وهو صوم النفس، وهو- أي الصوم الصغير- صوم عن الملذات الدنيوية والشهوانية والحسية، والغاية منه اخضاع النفس في البدن وترويضها على الاستغناء عن المتع الدنيوية والتخلص من الشهوات الجسدية، وتدريبها على حياة الزهد السيطرة على الغرائز..... جاء في الكنزاربا: (إن الذين لم يصوموا كما شرع الله، ولم يقيموا صلواتهم في حدودها وفروضها سيكون حسابهم في المطهر>البرزخ<عسير سوف يعذبون بالجوع والعطش، وسوف يزج بهم في النار الحارقة إلى يوم الدين...) 46

ثامناً-المحرمات عند الصابئة:

للصابئة في ديانتهم الكثير من المحرمات التي هي عينها الموجودة في الديانة المسلمة منها:

1 – حرمة أكل الميتة والدم وغيرها من الجوارح:

من المحرمات التي أكدت عليها الديانة الإسلامية ودعت إلى اجتنابها هذه العنوانات والأصناف وهناك غيرها؛ ولذا نلحظ أن الديانة الصابئية تشترك مع الديانة المسلمة او ما يقاربها في التحريم، قال تعالى: {حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ} المائدة: 3.

والتحريم نفسه نجده في الكتاب المندائي المقدس، حيث يقول: (* لا تأكلوا الدم، ولا الميت، ولا المشوه، ولا الحامل، ولا المرضعة، ولا التي أجهضت، ولا الجارح، ولا الكاسر، ولا الذي هاجمه حيوان مفترس* وإذا ذبحتكم فاذبحوا بسكين من حديد* ....) 47

2 – حرمة الزنا:

قال تعالى: {وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا} الإسراء: 32 هذا ما عليه الدين الإسلامي، أما ما يقابله في الديانة الصابئية، فهو ما ذكر في الكنزا ربا قوله: (* إمسكوا أجسادكم عن معاشرة أزواج غيركم، فتلك هي النار المحرقة*) 48 وقال كذلك (* لاتزنوا، ولا تفسقوا، ولا تمل قلوبكم إلى غواية الشيطان إن غواية الشيطان ضلال مبين*) 49.

3-حرمة شهادة الزور:

قال تعالى: {فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ} الحج: 30.وقوله تعالى: {وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ} الفرقان: 72. هذا ما ورد من حرة قول الزور عند المسلمين، أما عند الصابئة فورد المعنى الذي يشاكله في الكتاب المقدس عندهم إذ قال: (* لا تتعلموا رقى الشيطان* ولا تشهدوا زوراً على انسان* وإذا جلستم للقضاء فأشهدوا منكم ذوي العدل والذمام*...)50.

نكتفي بهذا القدر من المحرمات التي يجمعها الشبه بين القرآن الكريم والكنزاربا اختصاراً للبحث وإلا فهناك الكثير من المحرمات والواجبات الأخرى في شتى الموضوعات الاجتماعية والأخلاقية وغيرها.

ثالثاً: الصابئة عند المذاهب الإسلامية:

نتناول بعض مما أدلى به علماء المذاهب الإسلامية تجاه الصابئة:

أولا-موقف علماء المذهب الحنبلي:

وصفهم ابن قيم الجوزية(ت751هـ) وهو حنبلي المذهب: الصابئة أحسن حالاً من المجوس فأخذ الجزية منهم تنبيه على أخذها من الصابئة بطريق أولى، فإن المجوس أخبث الأمم ديناً ومذهباً ولا يتمسكون بكتاب ولا ينتمون إلى ملة ولا يثبت لهم كتاب ولا شبه كتاب 51.

ثانياً-موقف علماء المذهب الحنفي:

إن لهم كتاباً ولكنهم يعظمون الكواكب كتعظيم المسلم الكعبة، وبين صاحبيه القائلين بعدم الحل بناء على أنهم يعبدون الكواكب. قال في الفتح: فلو اتفق على تفسيرهم اتفق على الحكم فيهم. قال في البحر: وظاهر الهداية أن منع مناكحتهم مقيد بقيدين: عبادة الكواكب، وعدم الكتاب، فلو كانوا يعبدون الكواكب ولهم كتاب تجوز مناكحتهم، وهو قول بعض المشايخ زعموا أن عبادة الكواكب لا تخرجهم عن كونهم أهل كتاب، والصحيح أنهم إن كانوا يعبدونها حقيقة فليسوا أهل كتاب، وإن كانوا يعظمونها كتعظيم المسلمين للكعبة فهم أهل كتاب52.

ثالثاً-موقف علماء المذهب الشافعي:

قال الشافعي -رحمه الله -: " والصابئون والسامرة مثلهم يؤخذ من جميعهم الجزيةً ولا تؤخذ الجزية من أهل الأوثان ولا ممن عبد ما استحسن من غير أهل الكتاب ".

قال في الحاوي: أما الصابئة، فطائفة تنضم إلى النصارى، والسامرة طائفة تنضم إلى اليهود، ولا يخلو حال انضمامهما إلى اليهود والنصارى من خمسة أقسام:

أحدها: أن نعلم أنهم يوافقون اليهود والنصارى في أصول دينهم، وفروعه، فيجوز أن يقروا بالجزيةً، وتنكح نساؤهم، وتؤكل ذبائحهم.

الثاني: أن يخالفوا اليهود والنصارى في أصول دينهم وفروعه، فلا يجوز إقرارهم بالجزية، ولا تستباح مناكحهم، ولا تؤكل ذبائحهم كعبدة الأوثان.

الثالث: أن يوافقوا اليهود والنصارى في أصول دينهم، ويخالفوهم في فروعه، فيجوز أن يقروا بالجزية، وتستباح مناكحهم، وأكل ذبائحهم؛ لأن الأحكام تجري على أصول الأديان، ولا يؤثر الاختلاف في فروعها كما لم يؤثر اختلاف المسلمين في فروع دينهم.

الرابع: أن يوافقوا اليهود والنصارى في فروع دينهم، ويخالفوهم في أصوله، فلا يجوز أن يقروا بالجزية، ولا تستباح مناكحهم، ولا أكل ذبائحهم تعليلًا باعتبار الأصول في الدين.

الخامس: أن يشكل أمرهم، ولا يعلم ما خالفوهم فيه، ووافقوهم عليه من أصل...53.

رابعاً-موقف علما المذهب المالكي:

قال ابن القصار: قال بعض أصحابنا: على القول أن لهم كتابًا تجوز مناكحتهم، واختلف في الصابئة والسامرية على أن الصابئين من النصارى والسامرية من اليهود، فتجوز مناكحتهم، وعلى نفيه نفيه، ونكاح من سواهن من كافرة، واستمتاع بها حرام 54.

خامساً-موقف علماء المذهب الإمامي:

قال العلامة الحلي: مسألة: قال ابن الجنيد: لا أعلم خلافاً أن من أعطى الجزية من كفار أهل الكتاب من غير العرب -قبل أن يقدر عليه وهو ممتنع بنفسه أو بغيره في دار الحرب وسأل أن يقر على دينه على أخذ الجزية الجائز أخذها منه على أن أحكام المسلمين جارية عليه -أنه واجب أخذ ذلك منه، وإقراره على ما كان يدين به قبل الأمر من الله عز وجل بقتال المشركين، سواء كانوا يهودا أم نصارى أم مجوسا أم صابئين، فيجوز أخذ الجزية من الصابئة.

وقال المفيد: الواجب عليه الجزية من الكفار ثلاثة أصناف: اليهود على اختلافهم، والنصارى على اختلافهم، والمجوس على اختلافهم، وقد اختلف فقهاء العامة في الصابئين ومن ضارعهم في الكفر سوى من ذكرنا من الثلاثة الأصناف، فقال مالك والأوزاعي: كل دين بعد دين الإسلام سوى اليهود والنصارى فهو مجوسية وحكمهم حكم المجوس، وروي عن عمر بن عبد العزيز أنه قال: الصابئون مجوس، وقال الشافعي وجماعة من أهل العراق: حكمهم حكم المجوس، وقال بعض أهل العراق: حكمهم حكم النصارى.

فأما نحن فلا نتجاوز بإيجاب الجزية إلى من غير من عددناه لسنة رسول الله -صلى الله عليه وآله -فيهم والتوقيف الوارد عنه في أحكامهم 55.

وقال فاضل اللنكراني: الأقوى حرمة نكاح المجوسيّة، وأمّا الصابئة ففيها إشكال حيث إنّه لم يتحقّق عندنا إلى الآن حقيقة دينهم، فإن تحقّق أنّهم طائفة من النصارى كما قيل كانوا بحكمهم، وعن المبسوط: أنّ الصحيح خلافه لأنّهم يعبدون الكواكب، وعن التبيان ومجمع البيان: أنّه لا يجوز عندنا أخذ الجزية منهم لأنّهم ليسوا أهل الكتاب. وفي المحكي عن الخلاف: نقل الإجماع على أنّه لا يجري على الصابئة حكم أهل الكتاب.

وعن العين: أنّ دينهم يشبه دين النصارى، إلّا أنّ قبلتهم نحو مهبّ الجنوب حيال نصف النهار، يزعمون أنّهم على دين نوح. وقيل: قوم من أهل الكتاب يقرؤن الزبور.

وقيل: بين اليهود والمجوس. وقيل: قوم يوحِّدون ولا يؤمنون برسول. وقيل: قوم يقرّون بالله عز وجل ويعبدون الملائكة ويقرؤون الزبور ويصلّون إلى الكعبة. وقيل: قوم كانوا في زمن إبراهيم (عليه السّلام) يقولون: بأنّا نحتاج في معرفة الله ومعرفة طاعته إلى متوسط روحاني لا جسماني56.

المبحث الثالث

الوصايا والأحاديث النبوية بأهل الديانات التوحيدية:

من الوصايا التي أكدت عليه الشريعة الإسلامية تجاه الديانات التوحيدية الأخرى وحفظ ذمارها وحقوقها وكرامتها مانها:

1 – حرمة القتل بغير حق:

أكد القرآن الكريم على حرمة قتل النفس بغير حق وعده من الظلم الذي لا يغتفر مؤكداً على مطلق النفس وبدون تمييز.

قال تعالى: {وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا} الإسراء: 33.

أ -عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ قال: > من قتل نفساً معاهداً لم يرح رائحة الجنة وأن ريحها يوجد من مسيرة أربعين عاماً 57 >

دلالة الحديث واضحة المعالم على تأكيد الإسلام على أهمية رعاية أهل الذمة وحفظ ذمارهم وأنفسهم وأموالهم ودمائهم، لأنهم في كنف الإسلام ورعايته وحفظه، ودل على خروج المسلم عن الشرع الموكول باتباعه باعتدائه وقتله للذمي بحيث لا يرى الجنة ولا يشم ريحها.

ب-(قوله من قتل نفساً معاهداً) كذا ترجم بالذمي وأورد الخبر في المعاهد وترجم في الجزية من قتل معاهداً كما هو ظاهر الخبر والمراد به من له عهد مع المسلمين سواء كان بعقد جزية أم هدنة من سلطان أم أمان من مسلم وكأنه أشار بالترجمة هنا إلى رواية مروان ابن معاوية المذكورة فان لفظه من قتل قتيلاً من أهل الذمة وللترمذي من حديث أبي هريرة

من قتل نفساً معاهداً له ذمة الله وذمة رسوله58.

2– حرمة القذف:

أ - عن واثلة قال: قال رسول الله ﷺ: >من قذف ذمياً حد له يوم القيامة

بسياط من نار<فقلت لمكحول ما أشد ما يقال له قال يقال له يا ابن الكافر59.

ب - (من قذف ذمياً) أي رماه بالزنا (حد له يوم القيامة بسياط من نار) جمع سوط وهو

معروف أما في الدنيا فلا يحد مسلم لقذف ذمي لكن يعزر والقصد بالحديث التحذير من قذفه وأنه حرام متوعد عليه بالعقوبة في الآخرة لما فيه من إيذائه 60.

وهذا المعنى استعاره النبي (صلى الله عليه وآله) من القرآن الكريم إذ يقول تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ} الحجرات: 11

3 – حرمة ظلم الذمي:

أ -><من ظلم ذمياً كنت خصمه<. رواه أبو داود بسند حسن بلفظ >من ظلم معاهداً أو تنقصه حقه أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئاً بغير طيب نفس فأنا خصمه يوم القيامة<. وتقدم في: من آذى ذمياً61.

ب - وروى يعلى عنه أن رسول الله ﷺ قال: >من ظلم ذمياً مؤدياً لجزيته مقراً بذلته فأنا خصمه< 62.

وهذا المعنى بذاته الذي أشار له القرآن لما فيه من مضامين تربوية لسائر الناس، حيث قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ *يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ} الحجرات: 12-13.

4 – غفران الذنوب:

عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: والذي بعثني بالحق بشيراً لا يعذب الله بالنار موحداً أبداً، وإن أهل التوحيد ليشفعون فيشفعون، ثم قال عليه السلام: إنه إذا كان يوم القيامة أمر الله تبارك وتعالى بقوم ساءت أعمالهم في دار الدنيا إلى النار، فيقولون يا ربنا كيف تدخلنا النار وقد كنا نوحدك في دار الدنيا؟ وكيف تحرق بالنار ألسنتنا وقد نطقت بتوحيدك في دار الدنيا؟ وكيف تحرق قلوبنا وقد عقدت على أن لا إله إلا أنت؟ أم كيف تحرق وجوهنا وقد عفرناها لك في التراب؟ أم كيف تحرق أيدينا وقد رفعناها بالدعاء إليك، فيقول الله ﷻ: عبادي ساءت أعمالكم في دار الدنيا فجزاؤكم نار جهنم، فيقولون: يا ربنا عفوك أعظم أم خطيئتنا؟ فيقول عز وجل: بل عفوي، فيقولون: رحمتك أوسع أم ذنوبنا؟ فيقول عز وجل: بل رحمتي، فيقولون: إقرارنا بتوحيدك أعظم أم ذنوبنا؟ فيقول عز وجل: بل إقراركم بتوحيدي أعظم، فيقولون: يا ربنا فليسعنا عفوك ورحمتك التي وسعت كل شيء، فيقول الله ﷻ، ملائكتي وعزتي وجلالي ما خلقت خلقاً أحب إلي من المقرين لي بتوحيدي وأن لا إله غيري، وحق علي ألا أصلي بالنار أهل توحيدي ادخلوا عبادي الجنة63.

الخاتمة ونتائج البحث

وختاماً أطلعنا من خلال البحث على إحدى الديانات التوحيدية المختلف فيها أعني بها الديانة الصابئية، والتي ذكرها القرآن الكريم الى جنب الديانات السماوية الأخرى، متناولين عمقها التأريخي ، إنطلاقاً من الاسم والنشأة والبعد الإيماني لها، كالعلاقة العبادية بالخالق، وما يترتب عليه من إيمان بتوحيده تعالى، ومن صلاة وصوم كما ورد في كتابهم الكنز ربا والذي كان مصدراً مهماً في البحث، وكذا البعد الأخلاقي والاجتماعي الذي امتاز به معتنقو هذه الديانة، ثم العلاقة المشتركة بالديانة الإسلامية من حيث ما اوردنا بعض من المشتركات بما يناسب حجم البحث.

النتائج:

1 – يبدو أن مفردة الصابئة لها مدلولها الدال على تلك الديانة الى جنب الديانات الأخرى، وإن ذكرها في القرآن دل على ذات المدلول.

2 – إن لهم كتاباً مقدساً اسمه >الكنزا ربا< مقسم الى قسمين اليمين واليسار وهو ما يحوي الآيات التي يتلونها ويعملون على وفقها.

3 – إيمانهم بالله تعالى والملائكة والأنبياء (عليهم السلام) وسيرهم على تعاليم النبي >يحيى بن زكريا< (عليه السلام).

4 -إن الصابئة من أقدم الديانات التوحيدية التي وجدت على الأرض وانتشرت في الأماكن التي فيها مجاري المياه، كالعراق مثلاً، وما زالوا يعيشون في تلك الأماكن الى يومنا هذا.

5 – ايجاد الكثير من المشتركات بين الديانة الصابئية والديانة الإسلامية وهذا ما ظهر من خلال النصوص الواردة من القرآن والسنة، سواء على المستوى العبادي أم على المستوى الاجتماعي.

1 -ظ: الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الطبري :127/1

1 -ظ: أبو الحسن بن علي بن الحسين، مروج الذهب: 1/ 363

1 - ظ: أصول الصابئة ومعتقداتهم الدينية، / 55

1 - ظ: رشدي, الصابئون حرانيين ومندائيين /16 - 17

1 - ظ:الليدي دراور،الصابئة المندائيون /32

1 - إبن منظور لسان العرب: 27/ 2385

1 - الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد: 12/ 257 مادة صبأ

1 - الصابئة المندائيون / 31

1 - ظ: رؤوف سبهاني ، الصابئة المندائيون في إيران : 12-13

1 - رؤوف سبهاني، الصابئة المندائية في إيران/ 25

1 - رشيد الخيون ، الأديان والمذاهب بالعراق/ 32

1 - المصدر نفسه/ 35

1 - رؤوف سبهاني، المصدر السابق/ 12-13

1 - القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 4/ 7

1 - تفسير سليمان بن مقاتل: 3/ 119

1 - المصدر نفسه: 1/ 112

1 - جامع البيان في تفسير القرآن: 2/ 142

1 - إبراهيم بن سري، معاني القرآن واعرابه: 2/ 442

1 - تفسير الماتريدي: 1/ 484

1 - التبيان في تفسير القرآن: 1/ 285

1 - تفسير مجمع البيان: 1/ 244

1 - زاد المسير في علم التفسير:1/ 78

1 - تفسير الماتريدي: 3/ 559

1 - التبيان في تفسير القرآن: 1/ 283

1 - التبيان في تفسير القرآن: 3/ 592

1 - البيان في تفسير القرآن: 1/ 283

1 - لطائف الإشارات-تفسير القشيري_ 1/ 439

1 - الكشاف: 1/ 660

1 - تفسير مجمع البيان: 3/ 384

1 - تفسير القرآن العظيم:3/ 220

1 - أبو الطيب محمد صديق خان، فتح البيان في مقاصد القرآن: 9: 25

1 - محاسن التأويل: 7/ 277

1 - تفسير الميزان: 14/ 358

1 - محمد بن محمد، أوضح التفاسير: 402/1

1 - فتح القدير: 3: 344

1 - تفسير الأمثل: 9: 414

1 - كنزا ربا، اليمين/ 3

1 - ظ: عباس محمود، إبراهيم أبو الأنبياء/ 89

1 - الكنزرا ربا، اليمين/ 70-80

1 - الكنزا ربا، اليمين/ 171

1 - ظ: د. ضياء الخويلدي/ 90-92

1 - كنزا ربا، اليمين / 7-8

1 - المصدر نفسه/ 11

1 - ظ: السحمراني، أسعد، من قاموس الأديان/ 29

1 - ظ: د. ضياء الخويلدي، الله والأنبياء عند الصابئة / 65

1 - المصدر السابق / 76

1 - الكنزا ربا، اليمين/ 16

1 - المصدر نفسه/ 14

1 - المصدر نفسه/ 19

1 - المصدر نفسه/ 11

1 - أبو الطيب محمد صديق خان،فتح البيان في مقاصد القرآن: 5/ 275

1 - إبن عابدين، حاشية رد المحتار: 3/ 51

1 - الروياني أبو المحاسن عبد الواحد، بحر المذهب (في فروع المذهب الشافعي) : 13/ 344

1 - محمد بن محمد بن عرفة، المختصر الفقهي لإبن عرفه : 3/ 309

1 - مختلف الشيعة: 4/ 432

1 - تفصيل الشريعة في شرح تحرير الوسيلة / 299

1 - ظ: البخاري، صحيح البخاري: 7/ 74

1 - ابن حجر، فتح الباري: 12/ 229

1 - الهيثمي، مجمع الزوائد: 6/ 28

1 - المناوي، فيض القدير في شرح الجامع الصغير: 6/ 254

1 - العجلوني، كشف الخفاء: 2/ 261

1 - ابن الأثير، أسد الغابة: 3/ 133

1 - الشيخ الصدوق، التوحيد/ 29

الهوامش:

1 -ظ: الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الطبري :127/1
2 -ظ: أبو الحسن بن علي بن الحسين، مروج الذهب: 1/ 363
3 - ظ: أصول الصابئة ومعتقداتهم الدينية، / 55
4 - ظ: رشدي, الصابئون حرانيين ومندائيين /16 - 17
5 - ظ:الليدي دراور،الصابئة المندائيون /32
6 - إبن منظور لسان العرب: 27/ 2385
7 - الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد: 12/ 257 مادة صبأ
8 - الصابئة المندائيون / 31
9 - ظ: رؤوف سبهاني ، الصابئة المندائيون في إيران : 12-13
10 - رؤوف سبهاني، الصابئة المندائية في إيران/ 25
11 - رشيد الخيون ، الأديان والمذاهب بالعراق/ 32
12 - المصدر نفسه/ 35
13 - رؤوف سبهاني، المصدر السابق/ 12-13
14 - القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 4/ 7
15 - تفسير سليمان بن مقاتل: 3/ 119
16 - المصدر نفسه: 1/ 112
17 - جامع البيان في تفسير القرآن: 2/ 142
18 - إبراهيم بن سري، معاني القرآن واعرابه: 2/ 442
19 - تفسير الماتريدي: 1/ 484
20 - التبيان في تفسير القرآن: 1/ 285
21 - تفسير مجمع البيان: 1/ 244
22 - زاد المسير في علم التفسير:1/ 78
23 - تفسير الماتريدي: 3/ 559
24 - التبيان في تفسير القرآن: 1/ 283
25 - التبيان في تفسير القرآن: 3/ 592
26 - البيان في تفسير القرآن: 1/ 283
27 - لطائف الإشارات-تفسير القشيري_ 1/ 439
28 - الكشاف: 1/ 660
29 - تفسير مجمع البيان: 3/ 384
30 - تفسير القرآن العظيم:3/ 220
31 - أبو الطيب محمد صديق خان، فتح البيان في مقاصد القرآن: 9: 25
32 - محاسن التأويل: 7/ 277
33 - تفسير الميزان: 14/ 358
34 - محمد بن محمد، أوضح التفاسير: 402/1
35 - فتح القدير: 3: 344
36 - تفسير الأمثل: 9: 414
37 - كنزا ربا، اليمين/ 3
38 - ظ: عباس محمود، إبراهيم أبو الأنبياء/ 89
39 - الكنزرا ربا، اليمين/ 70-80
40 - الكنزا ربا، اليمين/ 171
41 - ظ: د. ضياء الخويلدي/ 90-92
42 - كنزا ربا، اليمين / 7-8

43 - المصدر نفسه/ 11
44 - ظ: السحمراني، أسعد، من قاموس الأديان/ 29
45 - ظ: د. ضياء الخويلدي، الله والأنبياء عند الصابئة / 65
46 - المصدر السابق / 76
47 - الكنزا ربا، اليمين/ 16
48 - المصدر نفسه/ 14
49 - المصدر نفسه/ 19
50 - المصدر نفسه/ 11
51 - أبو الطيب محمد صديق خان،فتح البيان في مقاصد القرآن: 5/ 275
52 - إبن عابدين، حاشية رد المحتار: 3/ 51
53 - الروياني أبو المحاسن عبد الواحد، بحر المذهب (في فروع المذهب الشافعي) : 13/ 344
54 - محمد بن محمد بن عرفة، المختصر الفقهي لإبن عرفه : 3/ 309
55 - مختلف الشيعة: 4/ 432
56 - تفصيل الشريعة في شرح تحرير الوسيلة / 299
57 - ظ: البخاري، صحيح البخاري: 7/ 74
58 - ابن حجر، فتح الباري: 12/ 229
59 - الهيثمي، مجمع الزوائد: 6/ 28
60 - المناوي، فيض القدير في شرح الجامع الصغير: 6/ 254
61 - العجلوني، كشف الخفاء: 2/ 261
62 - ابن الأثير، أسد الغابة: 3/ 133
63 - الشيخ الصدوق، التوحيد/ 29

المصادر ومراجع البحث:

*القرآن الكريم

1- الطبري(310هـ)، تأريخ الطبري، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ط4، بيروت-لبنان، 1430هـ-1984م.

2- الهيثمي(ت807هـ) مجمع الزوائد، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان،ط1، 1408-1988م.

3- الشيخ فاضل اللنكراني(ت1428هـ) تفصيل الشريعة في شرح تحرير الوسيلة، مركز فقه الأئمة، قم المقدسة، ط1، 1421هـ..

4- المناوي(ت1030هـ) فيض القدير شرح الجامع الصغير، تح، أحمد عبد السلام، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1، 1415هـ-1994م.

5- العجلوني(ت1162هـ) كشف الخفاء، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط3، 1408-1988.

6- ابن حجر(ت853هـ) فتح الباري، دار المعرفة، بيروت لبنان، ط1.(د.ت)

7- العلامة الحلي(ت726هـ)، مختلف الشيعة، مؤسسة النشر الإسلامي، قم المقدسة، ط1، 1413ه.

8- القاسمي، محمد جمال الدين محمد(ت1332هـ) محاسن التأويل، تح، محمد باسل عيون، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1، 1418هـ..

9- ابن عابدين(ت1252هـ) حاشية رد المحتار، دار الفكر، بيروت لبنان،ط1، 1415-1995م.

10- أبو الطيب محمد صديق خانالقنوجي(ت1307هـ) فتح البيان في مقاصد القرآن، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، ط1، 1412هـ-1994م.

11- الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن(ت597هـ) زاد المسير، تح، عبد الرزاق المهدي، دار الكتب العربية، بيروت لبنان، ط1، 1422هـ.

12- ابن أبي حاتم، أبو محمد بن عبد الرحمن التميمي الرازي(ت327هـ) تفسير القرآن العظيم، تح، سامي السلامة، دار طيبة، الرياض، ط2، 1420هـ-1999م.

13- رشيد الخيون، الأديان والمذاهب بالعراق، منشورات الجمل، المانيا،ط2، 2007م.

14-المسعودي(ت346هـ)، مروج الذهب، منشورات دار الهجرة، ط2، ايران قم، 1404هـ - 1984م.

15- عزيز سباهي، أصول الصابئة المندائيين، دار المدى للثقافة والنشر، ط1، دمشق، 1986م.

16- رشدي عليان، الصابئين، حرانيين ومندائيين، مطبعة دار السلام، بغداد، 1976.

17- ناصر مكارم الشيرازي، تفسير الأمثل، ط8، (د.ت).

18- د. ضياء الخويلدي، الله والأنبياء عند الصابئة دراسة مقارنة في الفكر الإسلامي، دار ومكتبة البصائر، العراق، ط1، 1440هـ-1019م.

19-كنزاربا، اليمين، الناشر، تراآوا، إيران-أهواز، ط1، 200م.

20- من قاموس الأديان، دار النفائس، بيروت، ط1، 1417هـ-1997م

21- محمد بن محمد بن عبد اللطيف بن الخطيب (ت1402هـ) أوضح التفاسير، المطبعة المصرية، ظ1، 1383هـ-1964م.

22-ابن الأثير، العلامة عز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني (ت 630 هـ)، أسد الغابة في معرفة الصحابة دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان (د.ت)

23- داروو الليدي، الصابئة المندائيون، ترجمة نعيم بدوي، مطبعة الديواني، ط2، بغداد، 1987م.

24- البخاري(ت256) صحيح البخاري، دار الفكر، بيروت لبنان، ط1، 1401هـ-1981م.

25- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل القرشي الدمشقي (ت 774 هـ) تفسير ابن كثير تحقيق عبد الرزاق المهدي، دار المعرفة بيروت – لبنان ط 1412 هـ -1992 م.

26- ابن منظور جمال الدين محمد بن مكرم الافريقي المصري (ت 711 هـ) ، لسان العرب ، دار صادر بيروت – لبنان ، 1986 م

27- أبو الحسن أحمد بن فارس زكريا (ت 395 هـ)، تحقيق عبد السلام هارون، مكتب الإعلام الإسلامي، ط 1404 هـ.

28- الإمام محي الدين ابن فيض السيد محمد مرتضى، تاج العروس، تحقيق علي شيري، دار الفكر بيروت، 1994 م – 1414 هـ.

29- الزمخشري (ت 538 هـ)، الكشاف، دار أحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، ط2، 142 هـ 2001 م.

30- الشوكاني، محمد بن علي بن محمد (ت 1250هـ)، فتح القدير، دار أحياء التراث العربي، بيروت – لبنان.

31- الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، الأعلمي للمطبوعات، بيروت – لبنان، ط2، 1390 هـ - 1971 م.

32- الطبرسي أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي (ت 548 هـ) مجمع البيان، تحقيق هاشم رسول المحلاتي، دار أحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، ط 1، 1412 - 1992م.

33- الطبرسي أبي علي الفضل بن الحسن (ت 49 هـ) ، جوامع الجامع ، تحقيق مؤسسة دار النشر الإسلامي ، قم ط3 ، 1420 هـ .

34- الطبري، ابن جرير (ت 310 هـ) جامع البيان عن تأويل القرآن (د.ت)، تحقيق خليل الميسر، دار الفكر، بيروت – لبنان 1415 هـ - 1992م.

35- الشيخ الصدوق(ت381هـ) التوحيد، تح، هاشم المحلاتي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت لبنان، ط1.

36- الطوسي، أبو جعفر محمد الحسن (ت 460 هـ) التبيان، تحقيق أحمد حسن قصر العاملي، مكتب الأعلام الإسلامي قم ط 1، 1409 هـ.

37- القرطبي أبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري (ت 607 هـ) الجامع لأحكام القرآن تحقيق هاشم سمير النجار، دار أحياء التراث العربي، بيروت – لبنان ط1، 1422 هـ -2002 م.

38- الروياني، ابو المحاسن عبد الواحد(ت502هـ) بحر الذهب، تح، طارق يحيى، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1، 2009م.

39- القشيري النيسابوري، أبو القاسم عبد الكريم بن هوزان بن عبد الملك الشافعي (ت 465 هـ) تفسير القشيري، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط 1، 1240 هـ - 2000 م.

40- أبو الحسن مقاتل بن سليمان الأزدي(ت150هـ)، تفسير مقاتل، تح، عبد الله محمد شحاته، دار احياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1423ه.

41- أبو سهل ابراهيم السري(ت311هـ)، معاني القرآن،تح، عبد الجليل عبة شلبي، عالم الكتب، ببيروت،ط1، 1408هـ-1988م.

42- الماتريدي، ابو منصور محمد بن محمد السمرقندي(ت333هـ) تفسير الماتريدي، تح، د. مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1426هـ-2005م.